أحمد عيسى (١)

« إذا جاء الموتُ طالب العلم وهو على حاله مات شهيدا »
(حديث ، عن أبي هريرة وأبي ذر)

عرفته أول ما عرفته بين يدى أحمد زكى (باشا) رحمه الله . وكنت ألقاه فى « دار العروبة » غير مرة فى الأسبوع . وكان فيه مثل ما كان فى صاحبه وشيخى أحمد زكى من الولع بالقراءة والصبر على البحث والتبات فى التأليف . مات رحمه الله كما كان يحيا متجرداً ، شبه مغمور ، وهو حقيق بأن يذكر وأن يعظم . ولكنها مصر ، بل لكنه الشرق العربى ضاعت فيه المقاييس وزاغت القيم ؛ فأمسى القدر ، فى جهة المعنى ، مرهوناً بالجاه أو البأس أو الحظوة ، وصارت الشهرة عند جمهرة الأدباء ، حتى عند طائفة من العلماء أستغفر الله ، أو أشباههم ، وليدة ارتجال واتكال ، أو نتيجة تهويل وتلفيق .

لم يكن الطبيب أحمد عيسى بالمتلمس ولا المتزلف ولا المتكلف . كان دلالة قائمة على الجد بصدق والكفاية بحق . كان والله قذى فى أعين من يرضى بالفوضى فى عالم الاجتهاد ، اجتهاد الذهن ، وكذلك فى أعين من يحط بثقافتنا ، عن رضا أحياناً ، إلى مخرقة صبيان .

ما هذه الكتب التى فى عنواناتها بهرج الدعوى وفى بطونها فقر العاجز الواغل المقتحم لغير بابه ؟ إنها لنكبة من نكبات الغرور مع الارتزاق ما عرفها الأدب العربى — والهفى عليه ! — مثلما يعرفها الآن .

ليس لى أن أرى رأياً فى الكتب التى ألفها أحمد عيسى بك فى الطب الخالص ، ولكننى أظننى أستطيع أن أزن ما أخرج للناس فى اللغة وتاريخ العلوم عند العرب .

فان كان كتابه « التهذيب فى أصول التعريب » (القاهرة ١٩٢٣) ضرباً من الجمع ، فان « المحكم فى أصول الكلمات العامية » (القاهرة ١٩٣٩) زاخر بالفوائد المستنبطة . غير أن فضل أحمد عيسى فى كتب الطب والنبات على وجه التخصيص ؛ فهى فى المحل الأول فى جانب التنقيب والتحقيق . ثم إن علماء الفرنجة — وهم أعلى من علمائنا بصراً بالنفائس — ينزلون تلك الكتب منزلة المراجع المعتمدة . وأجل هذه الكتب : « معجم أسماء النبات باللاتينية والفرنسية والانجليزية والعربية » (القاهرة ١٩٣٠) ، وهذا هو المصدر الأوثق الأعلى فى هذا الباب . ثم « تاريخ النبات عند العرب » (القاهرة ١٩٤٤) سرد فيه المؤلفات العربية فى النبات ، ما ضاع منها وما وقع ، مع تنسيقها وذكر مؤلفيها . ثم « تاريخ البيمارستانات فى

(١) ولد فى مدينة رشيد سنة ١٨٧٨ وتوفى بالقاهرة فى ٢٤ يولية ١٩٤٦ . وتجد ترجمة حياته فى مجلة « منبر الشرق » ، القاهرة ، السنة الـ ٢١ ، العدد الـ ٢١٢ .

معهد الاسلامى » (القاهرة ١٩٣٩) وهو طريف . ثم « معجم الأطباء من القرن السابع الهجرى إلى وقتنا هذا » (القاهرة ١٩٤٢) ، ففى هذا الكتاب أتم أ. عيسى « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة » المتوفى سنة ٦٦٨ هـ واستدرك عليه ؛ أما مصادره فوافرة جداً ، وأكثرها مخطوط أو مطوى أو مهمل ، ويا ليت هذا الكتاب الجامع على استيفاء خرج بالمسارد والفهارس الضافية .

تلك هى مشاركة أحمد عيسى فى ميدان حضارتنا الغابرة وثقافتنا الراهنة . وإنها لمشاركة شريفة غزيرة . وهيهات هيهات أن يسقطها أو يرقاها أن « مجمع فؤاد الاول للغة العربية » — وكلنا يعرف ما قدره بالاجال وما همته — لم يحرص أن يكون أحمد عيسى من أعضائه . وكأن الله يريد أن يبذل كفارة لهذا المجمع الذى عرف كيف يخفف عن نفسه مؤونة السعى . فبدلا من أن يعلمنا بمجلة لا تخوج ومعاجم لا تنفك تدرح فى أفق الوهم ، ليقبل على طبع هذا الكتاب الذى أعده أحمد عيسى العالم العامل ، وهو « معجم مصطلحات العلوم الطبية الانجليزية والفرنسية والعربية » . هل نعرف يوماً ما الجد ؟ (١)

بشر فارس

---

(١) كما عرفته كلية الطب فى القاهرة اذ نشرت للراحل « تاريخ النبات عند العرب » و « معجم الاطباء . . . »

من التحرير إلى القراء

اجتمعت أمور عدة أدت إلى تأخير البت فى مسابقة القصة منها سفر الأستاذ محمود تيمور بك إلى أمريكا ثم سفر الأستاذ رئيس التحرير إلى فرنسا ثم سفر الدكتور محمد عوض محمد بك إلى انجلترا وكلهم من أعضاء اللجنة التى تنظر فى هذه المسابقة . وقد استأنفت اللجنة عملها وستنتهى منه فى شهر نوفمبر .

*

وقع فى مقال الأستاذ منير الحسامى عن ابراهيم بن المهدى (عدد سبتمبر) خطأ بسيط فقد ذكر فى الهامش أنه أعتمد على الجزء ١ من الأغانى والصواب أنه جزء ١٠ .